ASJP
Algerian Scientific Journal Platform

المجلة التاريخية الجزائرية

ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664

المجلد: 06، العدد: 01 (2022)، ص468-483

المؤسسات الإدارية والتنظيمية بقلعة بني عباس في ظل الوجود العثماني بالجزائر (1510م-1830م)

The administrative and organizational institutions of the castle of Bani Abbas under the Ottoman rule Algeria (1510 -1830 A.D.)

عبد الحميد بودرواز*
جامعة المسيلة (الجزائر)
Fouadbouzid703 @gmail.com

فـؤاد بـوزيد
جامعة قالمة (الجزائر)
bjaouinaser@yahoo.fr

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2022/01/12

تاريخ القبول:
2022/03/02

الكلمات المفتاحية:
- ✓ قلعة بني عباس
- ✓ بجاية
- ✓ القرية
- ✓ ثاجماعث

الملخص:

تمثّل قلعة بني عباس آخر إمارة في المغرب الأوسط (الجزائر)؛ حيث كان لعائلة الشيخ عبد الرحمان الذي تلّقب ابنه بالعباس دورا في ظهور هذه الإمارة على مسرح الأحداث، في ظلّ ظروف سياسية غير مستقرّة، تزامنت والهجومات الإسبانية على سواحل الجزائر، وظهور الأتراك العثمانيين بالمنطقة ممثلين في الأخوين بربروس؛ كان هنالك نوع من علاقة الوفاق والصراع بين أمراء القلعة والسلطة العثمانية بالجزائر، إلى غاية سقوط الإمارة في يد السّلطة العثمانية في نهاية عهد سي ناصر عام 1604م، وانتقال مقرّ الحكم إلى مجّانة، لينوب عنه بالقلعة نظام عرفي تقليدي غائر في القدم، ممثل في النظام العرفي الأمازيغي، مجسّدا في هيكل تنظيمي عرف بمجلس القرية (ثاجماعث).

Article info

Received:
12/01/2022
Accepted:
02/03/2022

Key words:
- ✓ The castle of Bani Abbas
- ✓ Village
- ✓ Bejaia.
- ✓ Thajamath

Abstract:

The castle of Bani Abbas was the last empire in the Middle Maghreb (Algeria), where the family of Sheikh Abderrahmane, whose son Abbas had a role in the emergence of this Empire under the events of unrest political conditions, coincided with the Spanish attacks on the coast of Algeria with the Barbaros brothers; there was a kind of relationship of reconciliation and conflict between the princes of the castle and the Ottoman authority in Algeria, until the fall of the emirate in the hands of The Ottoman Empire in Algeria at the end of the reign of Si Nasser in 1604 A.D.and the transfer of the seat of the government to Medjana (Mjana) to represent the castle a traditional customary system represented in the Amazigh custom system, embodied in the village council (Thagamath) (Thajmaath).

*المؤلف المرسل

مقدمة

إنّ أيّ تجمع بشري في هذا الوجود يخضع لمجموعة من الضوابط والآليات التنظيمية التي تحافظ على سيرورة الحياة الجماعية به وفق مبدأ العيش المشترك، في ظلّ التوافق والانسجام البُنيوي لكتلة القرية أو المدينة به، وهو ما يعبّر في حقيقة الأمر عن طبيعة الفكر الحضاري لأي تجمع؛ نراه جليّا في قرى قلعة بني عباس أو ما تبعها من قطاعات جغرافية، وفق نظام الإمارة والسلطنة التي كانت تشرف عليه. إلا أنّ أمراءها في واقع الحال تركوا لأهلها (قرى القلعة) مطلق الحرية في التعامل بنظام عرفي محلّي عريق عراقة مجتمع زواوة، وهذا في ظلّ متابعتهم لهيئته التنظيمية المعروفة محليّا بـ: ثاجماعث (مجلس القرية). حيث سنحاول من خلال هذا العمل الإشارة إلى القيمة التاريخية لهذه الإمارة، والهيكل التنظيمي لمؤسسة ثاجماعث في قرى القلعة وما جاورها من قرى منطقة زواوة، لمعرفة القيمة الحقيقية لهذا النظام، الذي يتوافق في أبعاده التي تسعى لحفظ الأرض والعِرض والنسل مع ما انتشر من نظم ومؤسسات في هذا العالم منذ القديم.

1. قلعة بني عباس وإطارها الجغرافي

تقع قلعة بني عبّاس[1] فوق موقع رملي حصوي، ضمن سلسلة جبال الونوغة، التي أصبح الجزء الشمالي منها يسمى سلسلة البيبان. حيث حطّت في مركز ميلان حقيقي للجبل المسمى تاقربوست، فوق الهضبة الأكثر منعة، التي لا يمكن الوصول إليها إلا من درب واحد فقط[2]. يحدّ قلعة بني عبّاس من الشمال منطقة بني عيدل، يليها من الشرق والجنوب الشرقي كل من قبيلة أولاد بليل وسهل مجّانة، أما من الغرب فمنطقتا تازمالت وبني منصور، كما يليها من الجنوب جبل مزيتة وونوغة.

نجد القلعة على بعد 49 كلم من مدينة برج بوعريريج، يصلها بها الطريق الوطني رقم 26 بالولائي رقم 42، وهي حاليا تابعة لبلدية إغيل علي من ولاية بجاية، التي تبعد عنها القلعة بحوالي 100 كلم.

تحتل قلعة بني عبّاس موقعا استراتيجيا هاما بوجودها في أعالي الضفة اليمنى من واد الساحل أو واد أقبو، فهي تقع بين خطي طول ع عَ (641.5 و642.6)، ودائرتي عرض س سَ (4017 و4018.2)، (الصورة الجوية رقم:01)، حيث يبلغ ارتفاعها حوالي 1084م عن مستوى سطح البحر، ضمن جبل تاقربوست البالغ ارتفاعه حوالي 1297م؛ إذ يمثل جزءا هاما من سلسلة جبال البيبان، التي تمتد من سور الغزلان غربا إلى سطيف شرقا، ومن خرّاطة إلى القرقور شمالا، ويبلغ متوسط ارتفاع هذه السلسلة حوالي 1417م. متميزة في ذلك بقممها الكوارتزية والكلسية، وبمضايقها ومخانقها التي تتكون منها الوديان، والمجاري المائية[3] (الخريطة رقم :01/ والصورة الجوية رقم:01).

2. أمراء القلعة وسلطة الإمارة

كانت الاستراتيجية الأولى للقلعة كفضاء عمراني، سَعْيُ حكامها لتحصينها، إضافة إلى المنعة الطبيعية التي تُميّزها، منذ عهد السلطان أحمد الأول (حك 1500م- ت1510م) بعد وفاة أبيه الشيخ عبد الرحمان، وذلك قبل الاحتلال الإسباني لبجاية عام 1510م، واستطاع هذا السلطان بفضل حنكته السياسية والعسكرية،

تسيير أمور القلعة السياسية والاجتماعية، وهذا منذ أول مواجهة له ضد إمارة كوكو، وانتصاره عليهم باستعمال وسائل بدائية كالحجارة الضخمة وجذور الأشجار[4]. التحق به بعد هذا الحدث محاربون من قلعة بني حماد، ونظّمهم في شكل جيش هم وكل الفارين إليه من الجنود[5]. كما كان لابنه السلطان عبد العزيز قوّة ودهاء حربي استطاع به أن يوصل نفوذه نحو الجنوب وعمالة تونس[6]، وفي كلّ الجبال المجاورة، وتحالف أيضا مع الإسبان في بجاية لتمويله بالبارود والبنادق، مقابل المؤونة. كما بعثوا له عُمَّالا من أجل تقوية القلعة في أجزائها السهلة الاختراق (جهة باب عجي)[7]؛ ويؤكّد الورثيلاني قوّة هذا الرجل في قوله: "...**وولده –عبد العزيز– هو الذي بني قلعة بني عبّاس وأقام المملكة فيها بأن أسس العساكر وجيّش الجيوش، وأخذ المغرم في القرن العاشر بأن وصلت عساكره عمالة تونس، واودي ريغ في الصحراء، ومن جهة الغرب مزاب، وبلد الأغواط، وهم كذلك في المملكة ثمانون سنة، كما سمعته من بعض الفضلاء من علماء القلعة**"[8].

لقد قامت هذه الشخصية بإسهامات جمّة في إرساء دعائم الحكم العثماني بالجزائر في مواقع عدّة، أهمها مساهمته بمعيّة حسن باشا في استرجاع تلمسان عام 1552م[9]، وكذا قيامه باستعادة ورقلة وتوقرت عام 1553م؛ حيث بلغ عدد جنود عبد العزيز 10000جندي، وكان فرسانه مقسّمين إلى جزئين في كل من: تالة مزيدة، وتازلة بالقرب من القلعة، وقام فيهما ببناء برجين لإسكان الفرسان والخيول؛ وكانت هاتان الوحدتان العسكريتان في خدمة مندوب السلطان الذاهب للمهمة المكلف بها أيضا[10]. لقد قام الأمير عبد العزيز (حك 1510– ت 1559) أيضا ومرارا بتحصين الطرقات وتجديد بناء حصن القلعة كلّما دعت الضرورة إلى ذلك.

سعى الأمير أحمد أمقران (حك 1559م–ت1596م) بعد وفاة أخيه بفضل فكره المليء بالإنسانية والعدالة إلى تولّي إدارة مملكته الصغيرة بحكمة وحذق؛ حيث هيّأ جيشا منظما دعا إليه عصاة الجزائر، والمسلمين من النصارى، وكوّن جيشا به 8000 رجل من المشاة و3000 فارس، وجاب واحات الزّاب ووضع كل من طولقة وبسكرة تحت سيطرته، واندفع إلى غاية تقرت، كما قام بإنشاء العديد من المحطّات العسكرية التي وضع فيها قوّات تغيّرت إحداثيتها من أجل منع العلاقات الكثيرة بين جنوده وبين السكان في المناطق الخاضعة لحكمه، وهذا دليل على دهاء حربي في الإستراتيجية العسكرية، وكذلك استعمال المناطق المرتفعة من الناحية (منطقة القلعة)، كمجموعة من محطّات الإشارة (الشوّافت)، والتي تعمل بالدّخان نهارا وبالنار ليلا، لنقل مستجدات الجنوب بسرعة إلى القلعة[11]؛ لم ينس هذا القائد من يتصلون به قرابة ونسبا، فلم يفرض عليهم الضرائب، وأوصل القلعة إلى درجة كبيرة من الرخاء الاقتصادي والمعيشي، فبنى الدُور وهيّأ الطرق والعيون (الصورة رقم: 05)، وأنشأ المدارس العلمية للطلبة وقسّم الأراضي على الفلاحين، وعيّن اسم ملكية كل واحد عليها[12].

إنّ الوحدة البنائية التي كانت تستعمل كفضاء لحلّ النزاعات والمخالفات المرتكبة من طرف الجند أو التابعين لإقليم الإمارة هي نادي الضبّاط (نادي الجيش)؛ حيث كان يشرف على العملية قضاة، وعدول تحت وصاية أمير القلعة وإدارة المخزن الخاصة به (الصورتان رقم:02–03).

3. التنظيم الإجتماعي والسياسي للقرية في منطقة قلعة بني عباس وتقسيماته

يحكم كل قرية عادات وتقاليد، كما لها كبارها وأعيانها وجماعتها (ثاجماعث)، الذين يلجأ السكان إليهم لحلّ المسائل التي تعترض مجرى حياتهم اليومية؛ حيث يفصلون في جميع الخصومات التي تحدث بين أفراد القرية الواحدة، أو ما بين القرى المجاورة، ويساعد ثاجماعث في ذلك بعض عقلاء القرية وكبارها، وإن استعصت بعض القضايا فالحكم فيها فصلا يعود للعالم الشرعي (الفقيه)[13]، أو الأمير والسلطان كما هو الشأن في قرى إقليم قلعة بني عباس، على عهد أمرائها وسلاطينها إلى غاية عهد سي ناصر بني عباس(حك 1600م- ت1624م)، لتصبح بعد ذلك قرى القلعة خاضعة لنظام ثاجماعث بصورة مطلقة فيما تعلّق بالقضايا العامة، ويعودون في القضايا الكبرى للعائلة المقرانية بمجّانة على عهد الشيخ أبي التُّقى (حك 1624م- ت1680م) إلى غاية عهد الباش آغا محمد المقراني (حك1854م- ت1871م) [14].

1.3. التقسيم الاجتماعي

إنّ الهيكلة الاجتماعية العمودية المشكلة للقرية أو "**ثادارث**"، تنقسم إلى وحدات مختلفة، يقوم عليها عمودها الفقري، ويتدرج فيها تسلسليا لتبيان حقيقة التنظيم، ودقّته في ربوع كل قبائل زواوة وما جاورها وهي:

1.1.3. الخرّوبة (تاخرّوبت/Taxarubt)

هي التسمية التي تطلق على أحد العناصر المهمة في تشكيل القرية والخاضعة للضامن، وتعرف كذلك بأخرّوب (Exarub) بالجزائر[15]، وتشكل في اجتماعها الإطار السكاني للقرية.

يربط بين أفراد الخروبة في الغالب صلة الدّم والرحم، فعادة ما تسكن العائلات الكبيرة في مساكن جماعية محيطة بساحة مشتركة (أمراح)، وهو ما يعرف اصطلاحا بالحارة (L'hara)، مثل ما هو في قلعة بني عباس كحارة تابريط بقرية أولاد عيسى، كما يمكنها أن تدلّ على المسكن الواحد مثل الحارة نوصديق (بيت أوصديق/ بن صديق). لكن الغالب في هذا هو الحارة كتجمع عائلي كبير، ويفصل بين ممرات القرية، وهو مسيّر من طرف عائلة واحدة أو عائلات عدّة[16].

2.1.3. أذروم (Adrum)

هو ذلك المفهوم الناتج عن مجموعة من الخروبات (إيخربا/ Ixarba) التي تجمعها صلة القرابة ويمكن أن تصل إلى ثلاثة خروبات أو أكثر؛ وبهذا فإن أذروم يمثّل الوحدة الصغيرة للقرية، بكون أخروب ترتفع عن أذروم، وينتهي بها بالعائلة (الأسرة)[17]، التي تمثل البيت (أخام)، ويمكن للقرية كذلك أن تتشكل من مجموعة من إذرما (**Idarma**)، ويعرف كذلك بنظام البيوت أو نظام ثِيخامين.

3.1.3. القرية(ثادارث /Taddart) في منطقة القلعة

يعني هذا المصطلح القرية، أو إغرم (**Ighrèm**)، أو تاقبيلت (**Taqbilt**) ومدلولها محليّا على التوالي القرية المحصّنة أو القصر المحصّن؛ والتي تمثل الوحدة السياسية والاجتماعية، والإدارية والاقتصادية الأساسية للمجتمع الزواوي، ولها فضاؤها الخاص وبحدود معلومة للجميع. حيث تحتضن هذه الأخيرة كل التجمع

السكاني المنتمي إليها بداية بأخام ونهاية بإخربا في فضائها المحصّن وغير المحصّن[18]. وتتكون تخطيطيا من ممرات ضيّقة (طرق فرعية) حيث تؤدي إلى الحارات والمنازل الخاصة والمعروفة بالزقاق (أزقاق)، ولا يسلكها إلاّ أهل القرية وضيوفهم. أما الطريق الثاني فهو الطريق الرئيسي، وهو الذي يتخلل القرية من الشمال إلى الجنوب، أو من الشرق إلى الغرب، حسب الوضعية الجغرافية والجيولوجية للأرضية المستقبلة للقرية (ثادارث)؛ ويسلك هذا الطريق العام والخاص أهل القرية، وكذا عابروا السبيل دون الدخول إلى الطرق الفرعية المحرّمة على البرّانية منها (غير المنتمين إليها وحتى ضيوفها)، وهذا لأغراض أمنية واجتماعية، ويمكن للقرية أن تكون مشكّلة من تجمعين أساسيين هما الحارة أُوفَلاَّ (Ufella)، وتعني الحارة العلوية، والحارة بُادَّا (Bouadda) أي الحارة السفلية[19]، ونجد هذا النظام في عديد المناطق في ريف قلعة بني عباس، ومثال ذلك في منطقة صدوق (الأعلى والأسفل)، وهي تخضع للنظام الاجتماعي (ثاجماعث) وتتقيد بأحكامه وقوانينه[20].

حيث أنّ القرية في منطقة أو إقليم قلعة بني عباس تعدّ كخلية النحل[21]، وهي شأنها شأن التكتلات القروية الأخرى مثل عشيرة بني ورثيلان القريبة منها، والتي تخضع للطبيعة الجغرافية ولا تنقسم إلاّ بحسب الوحدة الطبوغرافية، مثل الكتلة المركزية لقرى قبائل جرجرة، البيبان، البابور، أو يتوزعون بطريقة متقطعة كالتجمّع المشّكل من طرف المقاطعة الكبرى لبني عباس بالريف البجائي[22]، وهو ما يقارب إلى حدّ بعيد الإطار العام لقرى القلعة.

كل فرقة من بني عباس متوزّعة على خرّوبة، وقرى هذه المنطقة من القرى كبيرة الحجم والتي أفادت من الظرفية العامة في نهاية العهد الحفصي وبداية العهد العثماني[23]، إذ استقبلت الفارّين من حرابة البدو وعدوانية القراصنة، وقد تجاوز عدد منازلها المائتي دار في القرن السادس عشر الميلادي، ومن بين أهم العناصر المشتركة التي تولّى القيام بها أفراد الجماعة المؤسسة لقلعة بني عباس وعلى رأسهم عبد العزيز العباس، بناء قصبة في القلعة وتحصينها بالأسوار بمعيّة الإسبان[24]؛ وقد تشكّل جدران المساكن نفسها الجدار الخارجي للسور مثل ما هو الأمر في القلعة، وتكوّن المجموعة من القرى ما يعرف بالعرش، والذي يكون أكبر من القرية وكذلك العشيرة؛ حيث يكون عدد السكان كبيرا ويكون الفارق كذلك من الناحية الجغرافية[25].

2.3. التنظيم الاجتماعي والسياسي

1.2.3. نظام ثاجماعث

تمثل القرية الوحدة الأساسية في المجتمع المحلّي لقبائل زواوة بالجزائر، وهي تعتبر الوحدة السياسية والإدارية لهذه المنطقة، حيث **ثاجماعث** فيها هي جسم الحياة الخاصة ونظام مبدأ الاستقلالية؛ حيث يعيِّن جسم القرية قيادته ويغيِّر في قوانينه ويحكم نفسه بنفسه[26].

تعتبر ثاجماعث كمصطلح في منطقة قبائل زواوة (الكبرى والصغرى) ذلك المعهد أو المؤسسة التي تحمي القرية في فضائها السكني أو المعماري. حيث يرى جاك بيرك (J. Berque) أنّ نمط النظام السياسي والإداري القروي القبائلي علامة ساطعة في التنظيم[27]. وهي حسب هانوتو ولوتورنو تمثّل البيئة الموجودة في

المجتمع الأمازيغي المحلّي والتي تجمع كل السكان، ويرأسها أمين القرية ، ويقول لوتورنو في ذلك أيضا: "**كل قرية تمثل وحدة سياسية وإدارية، وتمثل حقّا دولة، وتضمن شخصيتها وكل الحقوق لأعضاء الجماعة**"[28].

وهي بهذا تلك المؤسسة التشريعية والقضائية التي تشرف على شؤون القرية، وتناقش مسائلها المختلفة، من صيانة للطرق، وقنوات الصرف الصحي والمقابر، ومياه الرّي، وتوزيع الأراضي الزراعية، مثل ما تجسّد في عهد أحمد أمقران بالقلعة، وما تبعها من قرى الإقليم؛ حيث توجد الملكية الجماعية والفردية[29] (الصورة رقم:05).

كما يمكن أن يقف على رأس هذه الجماعة أو المؤسسة المرابطون أو الشرفاء[30]، مثلما هو الشأن في مناطق مختلفة من منطقة قبائل زواوة، ومثال ذلك قرى صدوق الأعلى والأسفل وما جاورها، التي كانت تحت سلطة شيخ الزاوية الرحمانية الشيخ الحداد، وكذا قرى قلعة بني عباس بالرّيف البجائي والتي كانت تعود لأميرها وفق هذا النظام (نظام السلطنة أو الإمارة) في كل من عهود أحمد الأول إلى عهد عبد العزيز العباس وأخيه أحمد أمقران، ونهاية بسي ناصر بني عباس، وهذا لما لهؤلاء سابقا من تقدير واحترام كبيرين عند سكان القلعة وأقاليمها.

رغم أنّ قلعة بني عباس كانت تحت سلطة أمرائها إلاّ أنّ قراها الثلاث المشكّلة لها كانت تخضع للنظام العرفي، الذي كان يمثّله الأعيان والحكماء والشيوخ بمعيّة القضاة والعدول المعيّنون للحكم في قضايا المقطعات التابعة للقلعة، وكانت العملية تتم كالآتي:

ـ يشرف على مجالس قرى القلعة ممثلون عن السكان، في مقدّمتهم كبار السّن المعروفون ببلاغتهم وحكمتهم، وكذا خبرتهم في تسيير أمور الحياة (الأُمَناء).

ـ ينخرط في المجلس أيضا الرجال البالغون (الطُمَان) الذين يمتازون بالنضج الفكري، وهم الوحيدون الذين يتكلمون بمعيّة شيوخ المجلس في حضور السكان.

ـ تعقد اجتماعات هذه المجالس في القلعة دوريا، ويقدّم تقريرها الشفوي إلى المخزن (إدارة الإمارة).

ـ يتم تنفيذ القرارات الناتجة عن المجالس التي يكتبها المرابط بمساعدة طمّان كل خروبة، وهذا للحفاظ على هيبة المجلس في قرى القلعة الثلاث وفي كل أراضي الإمارة.

ـ يَسُّن المجلس مجموعة من القوانين التنظيمية والردعية في الوقت نفسه، للحفاظ على الأمن العام في القرية، وهو بذلك يجسّد دور المحكمة المدنية في إصدار قراراتها وتجسيد عقوباتها على المذنبين.

ـ كان بالقلعة على عهد السلطنة ثلاثة مقرات لعقد جلسات ثاجماعث:

– الأول في طريق رئيس يقود إلى ساحة ثازايرت بأولاد عيسى من القلعة يشترك وجامع سيدي مرزوق (بومرزوق) في التسقيف الصورة رقم: 01).

– الثاني قرب قصر الإمارة بساحة لوطة نعلي المقابلة لجامع أحمد أمقران والمحكمة العسكرية الممثلة في نادي الضباط (الصورتان رقمي: 03/02).

– الثالث بقرية أولاد هارون، ولكل مجلس منها أمين يشرف عليه (الصورة رقم: 04)[31].

– نجد مقرّين مضافين في مرحلة لاحقة هما المجلس المصغّر بفضاء باب البرج (الصورة رقم:06)، ثاجماعث إينقرابا المفتوحة على الهواء الطلق بالقرب من لوطة نسوق (ساحة السوق) ونجد ما يماثلها في قرية إيثرونين بناحية بني معوش من ضواحي بجاية (الصورة رقم: 10).

ـ بقي هذا النظام ساريا إلى ما بعد استقلال الجزائر ولا يزال يعمل ضمنيا في بعض المشاريع التنموية المحليّة والمشاكل التي قد تحصل بين السكان والعائلات.

2.2.3. التركيبة التكوينية لنظام ثاجماعث

1.2.2.3. الأمين

إنّ لكل قرية نظامها الخاص بها لتنظيم وتصريف شؤونها والذي يتولى ذلك يعرف بالأمين (**I'amin**)، ويمثل رئيس الجماعة بالمفهوم الحالي، وقراراته نافذة. كما يعرف كذلك باسم أَمَكْسَا (**Ameksa**) أو راعي القرية، ولدى البعض الآخر أَقَرُو نْتَادَارْتْ (**Aqarou Ntaddart**) أي رئيس القرية [32]، فهو بالفعل الحارس النشيط والحذر للجماعة، ويتخذ القرارات والحلول الضرورية لأمن القرية، ويوجد بكل قرية أمين أو رئيس واحد (الصورة رقم:04)، ويجب عليه أن يكون مقيما بها [33]، ويختار من إحدى العائلات ذات النفوذ فيها، وتسانده كذلك عشيرة قوية ليحضى بالاحترام، ويكون ميسورا لكي لا يخضع للإغراء المادي، و يكون كذلك قادرا على قيادة العمليات الحربية[34]، ويعيّن بالاقتراع العام [35]، وفي حالة غيابه أو موته، فإن جماعة العُقَّالْ أو الصَفْ تتولى المهمّة إلى حين تعيين أمين جديد[36]. وهو الذي يتكفل كذلك بضمان تنفيذ قرارات ثاجماعث، وبتحضير القضايا الواجب عرضها على المجلس. حيث يساهم وفق نظام الغرامة (الخطيئة أو الخْضَّقَة) بزيادة مداخيل ثاجماعث والتي تطبق وتنفذ دون أي تسامح أو أدنى تخفيض[37]، وهو الذي يقوم كذلك بتحضير عقود البيع أو الشراء أو الإيجار بالنسبة للعقارات من أراض ومساكن، كما يقوم بالدراسات الأوليّة لبناء الأحواض والعيون والينابيع، وكذا إصلاح الطرقات ويشرف على إنجازها. إضافة إلى إعلانه إشارة انطلاق عملية الحرث أو جني بعض الثمار كالتّين والزيتون [38].

يشرف الأمين أيضا على بعض الأعمال الخيرية كتوزيع اللّحم في العيد بعد القيام بتيمشرط (**Timechrate**) والتي تأخذ أبعاد التعاون، والتكافل الاجتماعي في قرى بني عباس وغيرها من القرى، كقرى بني يعلى بنواحي قنزات أيضا [39].

2.2.2.3. الضامن (الطامن / Tamen)

هو مساعد أمين القرية في كل المسائل الإدارية، وهو مسئول عن كل ما يجري في الخروبة (ثاخروبت/ **Takarubt**)، والطُمَانْ (**Temmans**) جمع طامن، وهم مسؤولون عن كل ما يجري في عشائرهم المشكلة للقرية[40]، ويقدمون تقارير لرئيس القرية (الأمين)؛ حيث لا يملكون سلطة توقيع العقوبات على الجرائم، وشهادتهم أمام مؤسسة ثاجماعث ذات مصداقية كبيرة، ويسهرون على فرض احترام النظام وكذا تهدئة

العائلات الواقعة تحت سيطرتهم، وعند عجز أحد أفراد عشيرتهم عن دفع الغرامة (الخُطِيَة) المفروضة عليه في مجلس القرية فإنّه يؤديها عليه في الحال. لكن أهم ما في الأمر أنّ هؤلاء الطُمَانْ يقومون بآداء اليمين قبل تولي مناصبهم في القرى التي يخضع فيها رئيس ثاجماعت (مجلس القرية) للعقوبة نفسها عند الحِياد عن مبادئها.

3.2.2.3. الوكيل

هو شخصية مكلّفة بشؤون المسجد، وتتمثل مهمته الرئيسية في مهمات كبيرة وصغيرة تخص القرية[41] لكن في بعض الأحيان تقف هذه الشخصية (الوكيل) عاجزة عن حلّ بعض المشاكل التي تواجه القرية، وخاصة الحروب بين جماعتين، فهنا تظهر قوّة أخرى تتمثل في دور المرابط أو الإمام.

4.2.2.3. الإمام أو المرابط

يكون الإمام غالبا من المرابطين، ويتكفل بالشؤون الدّينية والأوقاف، ويكون مكلّفا بالتّربية وكاتبا للجماعة، وتودع لديه أهم القرارات التي يتخذها المجلس، ويحضّر الأعياد الدّينية، وعلى يده تتم مراسيم الزواج والجنائز...إلخ، على عكس الأمين والضامن والوكيل الذين يهتمون بالمصالح الأخرى للقرية وساكنيها. اعتبر البعض أنّ النظام الاجتماعي والسياسي القائم في قرى زواوة ككل هو تنظيم ديمقراطي متساوٍ، وكل عضو أو فرد فيه يتدخل بآرائه في تسيير شؤون القرية العامة[42].

5.2.2.3. براح القرية

يكون تحت تصرف الأمين، وتتمثل مهامه في الإعلان عن أيام الاجتماعات بالقرية، وأماكنها التي تقام فيها، وعادة ما يعلن ذلك في الأسواق[43].

3.2.3. المظهر العام لمقر مؤسسة ثاجماعت

هو نوع خاص من الوحدات البنائية، بكونه مقرا لثاجماعت، وهو من النوع القوي والمختلف، حيث نجده في كل قرية، كما يمكن أن يصل عدد مقرّاتها إلى غاية ستة مقرات للاجتماع، وفيها يتم تقرير مجالس المقاطعة، والضواحي والذي يسمى محليّا بـ: "**أخام نثاجماعث**"، ويكون غالبا قرب المسجد أو جزءا منه، وهو بذلك يصبح بناء ومركزا سياسيا ودينيا، مثلما كان المسجد النبوي على عهد الرسول ﷺ. يتكون هذا البناء من مساطب مرتفعة (**دُكّانات/Tidoukanins**) من الحجارة المسطحة[44]، ونجد لها أمثلة مختلفة في قرى القلعة، المسقوفة منها كثاجماعث باب البرج بقرية أولاد حمادوش، وغير المسقوفة ثاجماعث إِينَقْرَابَا[45] وكذا ثاجماعث نتزايرث (جماعة تازايرت) حاليا، ثاجماعث لوطا نعلي وغيرها (الصورتان رقمي:02-11) ونجد ما يماثلها من حيث المبدأ والوظيفة رغم بعض الاختلاف في الحجم والشكل، والموقع، في كلّ من قرية تازخيت، وأقمون، وإثرونين، وكذا قرية إغيل علي من إقليم القلعة سابقا، وكذا أسفل جامع أحمد بن الجودي بقرية تالة وانو بنواحي زمورة وأسفل جامع أولاد حالّة بناحية الجعافرة[46] (الصور: 07-08-09-10-12).

إنّ أبعاد بناء الجماعة (ثاجماعث) هي في غالبها بنفس أبعاد المسكن الخاص، بحكم أنه بناء يقع بالقرب من الفضاءات السكنية، ويوجد قربه كذلك مكان عام يجتمع الناس فيه لكل ما هو مهم للقرية[47]، ولا نجد في الغالب بمقر ثاجماعث أبوابا موصدة، بل بالعكس فهي مجال مفتوح على الجهتين، مثلما نراه في ثاجماعث باب البرج ذات الشكل المنحني (الصورة رقم:06)، حيث يكون شكل القاعة شبيها بالرواق أو السقيفة؛ كما تستغل أيضا للاحتماء من الطقس السيء بالنسبة لعابري السبيل، والسكان معا، ويمكن للنساء أن تَمرُرنَ بمشغلاتهن من هذا المقر في غير أوقات الاجتماعات، وكذلك الحيوانات التي تخرج وتدخل إلى القرية.

4. الساحات العامة كمقرات لمجلس القرية ثاجماعث

تنتشر في القرى المشكلة للقلعة ساحات عامة، شأنها شأن ما نجده في ربوع مدن وأرياف العالم الإسلامي، في العصور الأولى أو الحديثة. حيث نجد ثلاثة أمكنة أظهرت فيها البيئة التقليدية طابعها المميز لها وهي المناطق العامة والساحات، والفناء الخارجي المتصل بالوحدات السكنية في الشوارع، وكذا الطريق النافذ، وغير النافذ؛ وهذا ما يبيّن الحركية التي صاغتها البيئة التقليدية[48]، وما تبيّنه كذلك من علاقات بين فرق الأعيان (ثاجماعث)، وفرق هذه الأماكن السابقة الذكر، والتي تؤثر بصورة مباشرة في البيئة العمرانية القروية ككل إذ نجد بقرى قلعة بني عباس ساحات عامة وعلى رأسها ساحة "**لَوْطَة نَغْلِي**" محاذية لجامع أحمد أمقران بحي أولاد حمادوش، وساحة "**لوطة نَسُوقْ**" قرب مسجد "**أومفتاح/ بن مفتاح**" أعلى قرية أولاد عيسى، إضافة إلى ساحة تازايرت أسفل جامع بومرزوق (الصورة الجوية رقم:01 /الصورتين: 02-11)، حيث تسمح هذه الفضاءات حسب خِطَّتِهَا في الأرياف بممارسة بعض الوظائف، كالاجتماعات والتجارة، وكذا المناسبات الدّينية والأعياد المحليّة، التي لها صبغة خاصة في هذه المناطق، ومثال ذلك عملية "**الوزيعة**"، الدالّة على التكافل الاجتماعي في الوسط الرّيفي لقرى زواوة.

1.4. الأسواق

إنّ السوق ركيزة الحياة الاقتصادية في المدينة والرّيف، كما يعدّ كذلك من أهم مرافق الحياة الاجتماعية، التي تكون إجبارا في المدينة وإلزاما في محيط الريف، بكونه مقصودا من القريب والبعيد للمؤونة. وله مكانة كبرى في حياة قبائل زواوة، حتى أنه في هذه المنطقة استغل لأغراض عدّة، من بينها السياسية، إذ دفعت الحاجة أولا والعادة ثانيا بممثلي أصغر التجمعات القبائلية الاتصال أسبوعيا فيما بينهم لمراقبة أحوال البلاد العامة. كما يبحثون عن الأخبار ويشيعونها لتكوين ما يسمى بالرأي العام؛ ويمكن للسوق كذلك أن يكون مقرا لإعلان الثورات أو الجهاد لما له من تسهيل في الاتصال بأكبر عدد ممكن من السكان، إضافة إلى المناشير، والمراسيم المعلنة ضد المتمردين، الذين يمنعون من دخول هذه الأسواق خاصة على عهد الدولة العثمانية بالجزائر[49].

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن السوق مقر التقاء الناس بذويهم وأصدقائهم، حيث تعقد فيه أواصر القرابة وتفك المشاحنات فيها، زيادة على سماح مجاله بعقد التحالفات والاتحاد بين القرى، وهو مجمع البسطاء من الناس والشيوخ، القضاة، الطلبة، والمرابطون الذين يقومون بحل مشاكل الناس وفصل خصوماتهم.

لقد اهتمت عشيرة قلعة بني عباس بالسوق كمرفق ضروري يجمع بين قراها المختلفة، حيث يذكر لنا كاريت الأسواق المختلفة لهذا الإقليم عام 1840م وهي أربعة:

_ **سوق الأربعاء:** ما بين قريتي تازايرت وإغيل علي من مقاطعة القلعة.

_ سوق ثان في نفس اليوم أسفل تالفسة.

_ **سوق الاثنين** : في بوجليل ثم حول ليوم الجمعة.

_ **سوق الخميس** : داخل قلعة بني عباس (لوطة نّسوق"**الرحبة**" بقرية أولاد عيسى)[50].

نتبين من خلال ما ذكر قيمة فضاءات الأسواق الأسبوعية والموسمية كفضاءات هامة تساهم في تفعيل العملية التنظيمية والتنسيقية بين مجالس قرى القلعة وما تبعها من أقاليم كما تعدّ فضاءات إعلامية تبث فيها كل المستجدات حول البلد في فترات السلم والحرب والأوبئة والمجاعات.

خاتمة

من خلال ما تمّ استعراضه من الخصائص الوظيفية والمعمارية لمجلس القرية بقرى قلعة بني عباس وما شابهها في نطاق القرى المجاورة لها والقريبة منها، نستشّف مدى قداسة وقيمة هذه الهيأة التنظيمية داخل فضاء القرية وخارجه؛ حيث يمكن لمؤسسة ثاجماعث ممارسة مهامها في الفضاءات المبنية المخصصة لها ودون ذلك أيضا، في الساحات العامة وحتى في الأسواق التي مثلت بدورها مرفقا هاما لتفعيل أدوار مؤسسات ثاجماعث بالقرى ولتكون فضاء تشاوريا وتشاركيا للمشاكل العالقة بين القرى والأعيان وكذا القضايا الشائكة التي تحتاج إلى استشارات متخصصة أكثر؛ وغايتها الأساسية في الأصل فرض نظام عرفي محلّي بقوانينه وقراراته، وأساسه الحفاظ على النظام العام للقرى، والسعي للمحافظة على الكتلة البنيوية للقرية وفق مبدأ العدالة في إصدار القرارات والمصير المشترك. كما يبين الهيكل التنظيمي لهذه الهيأة التزام المجتمعات القروية بمنطقة القلعة وزواوة عموما بهذا النظام العرفي الوضعي الذي اقتبس في الكثير من مبادئه تعاليم الدّين الإسلامي الحنيف، التي تسعى إلى تحقيق العدالة بجلب المنافع ودفع المضار.

ملاحق

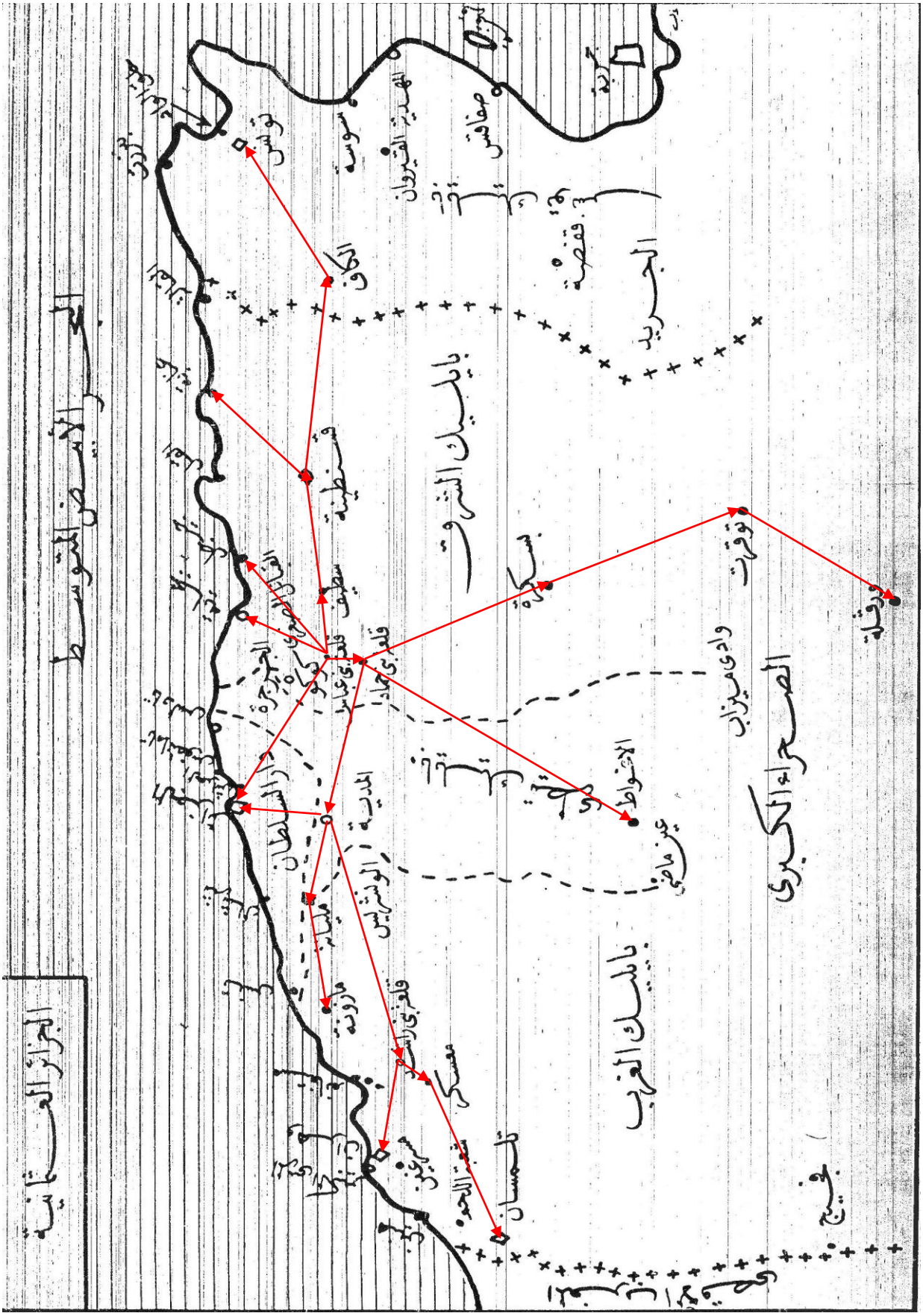

الخريطة رقم(01): الطرق السلطانية في العهد العثماني (عن أحمد توفيق المدني بتصرف)

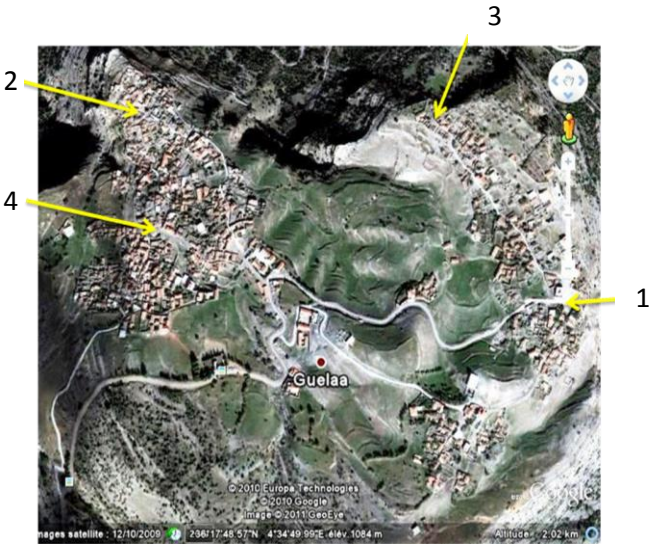

1. ثاجماعث أولاد حمادوش/ لوطة نعلي.

2 ـ أولاد عيسى /تازايرت– باب البرج. 3– أولاد حمادوش.

4 ـ ثاجماعث إينقرابا / قرب لوطة نسوق.

الصورة الجوية رقم 1: صورة جوّية لقلعة بني عباس.

المصدر : Google Earth. بتصرف

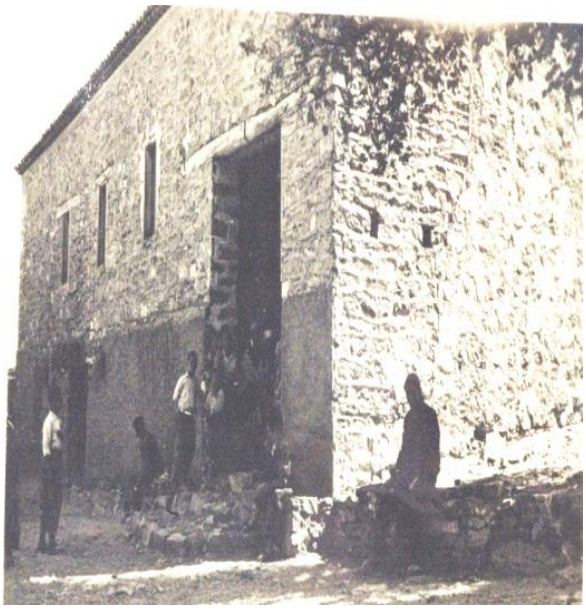

الصورة رقم 1: صورة جامع بومرزوق(سيدي مرزوق). بها الرواق الجانبي (مقر ثاجماعث) حي تازايرت/ عام 1940 م. عن جمعية قلعة بني عباس.

الصورة رقم 2: الصورة الحالية لنادي الضباط وساحة لوطة نعلي – مأخوذة بتاريخ: 2014/05/28.

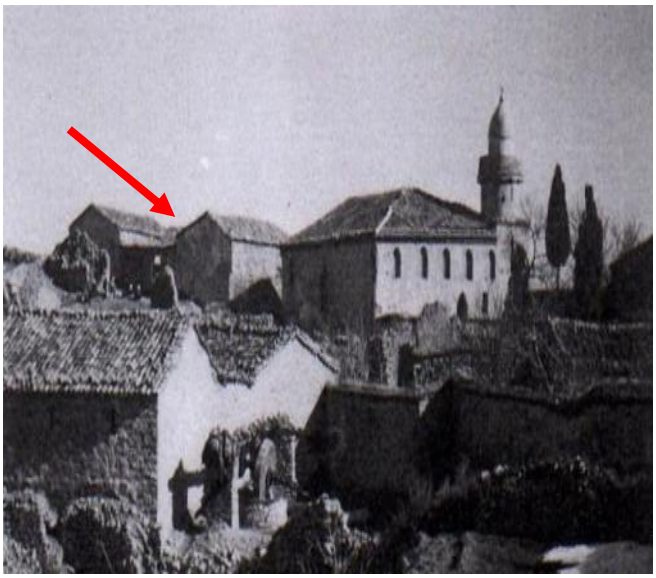

الصورة رقم 3: صورة قديمة لجامع أحمد أمقران، ونادي الضباط عام 1925م. عن جمعية قلعة بني عباس

الصورة رقم 4: أمين قرية أولاد حمادوش بالقلعة عام 1865م. المصدر: Farine ; A travers la Kabylie, P227.	**الصورة رقم 5: أحد العيون المهيّأة سابقا بالقلعة.** المصدر: Farine ; A travers la Kabylie, P210.
الصورة رقم 6: مدخل باب البرج بالقلعة أحد مقرات ثاجماعث سابقا.	**الصورة رقم 7: ممر السقيفة ومقرّ ثاجماعث بجامع أحمد بن الجودي.**
الصورة رقم 8: رواق الطابق الأرضي وسقيفة المدرسة القرآنية ومقر ثاجماعث بجامع أولاد حالّة.	**الصورة رقم 9: ثاجماعث قرية تازخيث. (ضفاف وادي الصومام).**

الصورة رقم 10: ثاجماعث قرية أقمون (ضفاف وادي الصومام).

الصورة رقم 11: ثاجماعث إينقرابا أسفل رحبة السوق بقرية أولاد عيسى بالقلعة.

الصورة رقم 12: ثاجماعث قرية إغيل علي بإقليم القلعة.

الهوامش:

(1) لقد تضاربت الآراء في أصل نسب أمراء بني عباس بين من ينسبهم إلى قبائل سدويكش من قبيلة كتامة البربرية لا علاقة لهم بالنسب الشريف وبين من يرى أنهم من نواحي جبل عياض شمال شرق قلعة بني حماد وهم أخوال فاطمة الزهراء بنت النبي ﷺ وبين من يرى أنهم ينتمون للعائلة الإدريسية عن طريق سيدي بوزيد. حول الموضوع ينظر: بودرواز(عبد الحميد)، **قلعة بني عباس ما بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر الميلاديين/ العاشر والثالث عشر الهجريين**، رسالة ماجستير في الآثار الرّيفية والصحراوية، جامعة الجزائر 2 معهد الآثار، 2010-2011، ص ص 16...21.

(2) Feraud (L, ch), **Histoire des villes de Constantine, "Bordj Bou Arreridj",** in recueil des notices et mémoire de la société archéologique de la province de Constantine, N° 15, Paris, 1871-1872, P. 185.

(3) **مديرية التخطيط والتهيئة العمرانية لولاية برج بوعريريج.**

(4) Feraud (L, ch), Op. Cit, P. 210.

(5) Ibid, P. 210.

(6) الميلي (مبارك)، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ج3، دار الثقافة، بيروت، 1964م، ص ص 94-95.

(7) عباد (صالح)، **الجزائر خلال الحكم التركي (1515م- 1830م)**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،2005م، ص ص 75-76. وأنظر أيضا:

Ferraud (L, Op. Cit, P. 210.

(8) الورثلاني (الحسن بن محمد الشريف)، **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، المشهور بالرحلة الورثلانية، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، 1394هـ/1984م، ص. 36.

(9) كاربخال (مرمول)، **إفريقيا**، ترجمه محمد حجي، ومحمد زنيبر وآخرون، دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، 1988م- 1989م، ص 386.

(10) Ferraud (L, ch), Op. Cit, P.P. 216-217.

(11) Ibid, P. 229.

(12) Ibid, P. 332.

(13) بوعمامة (عبد الكريم)، **بنو يعلى (لمحات من التراث اليعلاوي)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2006م، ص. 45.

(14) مالتسان (هاينريتش فون)، (1980)، **ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا**، الجزء 2، ترجمة أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م، ص ص. 156-157.

(15) Hanoteau et Letourneux, **la Kabylie et le les coutumes kabyles**, 3e volumes, challamel, Paris, 1893, P.P, 5-6. Voire encor : Bazagana(R) et Sayad (A), **Habitat traditionnel et structure familiales en Kabylie**, Tome XXIII, Mémoires du CRAPE. Alger,1974, P. 59.

(16) Bazagana(R) et Sayad (A) ; **Op. Cit**, P. 59.

(17) Bourdieu (P), **Sociologie de l'Algérie,** que sais – je ? 6eme édition, presses universitaires de France,1958, P.P, 18-19.

(18) Maunier (R) **; Conférence faite le : 28-11-1930, et publier dans la sociologie et droit Romain,** Paris, P. 09. Voire encore : Adam (A), (année 1950), **Hespéris, Archives berbères … des hautes études marocaines** , 1er et 2eme TR ,librairie larose,Paris,1950, P.P, 325- 326.

(19) أث ملويا(الحسين بن شيخ)، **القانون العرفي الأمازيغي** ، دار الخلدونية، الجزائر،2006، ص. 63.

(20) Missoum (S); **Une maison berbère au village de ait lahcen**, Alger, 1995, P. 126. Voire encore : Hanoteau et Letourneux; Op. Cit, P. 66. Et voire : Mahé(A), **Histoire de la grande Kabylie 19e-20e siècles ,**Ed Bouchene,2000, P. 79.

(21) Adam (A) ,Op. Cit, P. 293.

(22) Mahé(A), Op. Cit, P. 15.

(23) حسن (محمد)، **الجغرافيا التاريخية لإفريقية من القرن الأول إلى القرن التاسع الميلاديين**، ط1، دار الكتاب الجديد المتّحدة، ليبيا، 2004، ص. ص، 20-21.

(24) Ferraud (L ch.); Op. Cit, P. 212.

(25) Kenzi(A), **Tajmaat du Village Elaqelaa de At. Yemmel**, thèse de magistère, université Mouloud

Mammeri, Tizi-Ouzou,1998, P. 92 .
(26) Ibid, P. 04.
(27) Mahé (A) , Op. Cit, P. 79.
(28) Hanoteau et Letourneux, Op. Cit, P. 64.
(29) مسعودي (يسمينة)، **النظام العسكري والإداري في مشدّالة ما بين (1830- 1897م)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2005/2004، ص. 33.
(30) Adam (A), Op. Cit, P. 337.
(31) Farine (M.ch), **A Travers La Kabylie**, Edugroq, Libraries Editeur,1865, P.P, 211-245.
(32) أث ملويا (الحسين بن شيخ)، المرجع السابق، ص 60.
(33) المرجع نفسه، ص ص، 60-61.
(34) Hanoteau et Letourneux, Op. Cit, P. 27.
(35) Remand (M), **D'élargissement des droits politiques des indigènes, ses conséquences en Kabylie**, R.AF, N° 68, O.P.U. Alger, 1927, P. 216.
(36) Hanoteau et Letourneux, Op. Cit, P. 59.
(37) أث ملويا (الحسين بن شيخ)، المرجع السابق، ص. 116.
(38) المرجع نفسه، ص. 61.
(39) بوعمامة (عبد الكريم)، المرجع السابق ، ص. 56.
(40) أث ملويا (الحسين بن شيخ)، المرجع السابق، ص. 61. ينظر أيضا: Hanoteau et Letourneux, Op. Cit, P. 33
(41) مسعودي (يسمينة)، المرجع السابق، ص. 32.
(42)Le prince Bibesco(N), (année 1856), **Les Kabyles du Djurdjura, La société kabyle avant la conquête française**, Revue Des deux mandes, T56, imprimerie .J .claye,1856, P. 568.
(43) Kenzi(A), Op. Cit, P. 101.
(44) Maunier(R), Op. Cit, P. 15.
(45) يروي سكان القلعة وأعيانها أن أصل التسمية يعود إلى وجود كوخ(**Le Gourbi**) بالموقع، وكان السكان يجتمعون به وأصبح يلقب باسمه.
(46) بودرواز(عبد الحميد)، **العمارة الرّيفية بمنطقة برج بوعريريج-دراسة أثرية أنموذجية-**، أطروحة دكتوراه علوم في الآثار الرّيفية والصحراوية، جامعة الجزائر2/معهد الآثار، السنة الجامعية 2017-2018،ص ص 90-94-396- 399.
(47) Maunier(R), Op. Cit P. 16.
(48) أكبر جميل (عبد القادر)، **عمارة الأرض في الإسلام**، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1998، ص 237.
(49) بوعزيز (يحيى)، "**الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الرّيفي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر**"، مجلة الثقافة، العدد08، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، مارس- أفريل 1984م، ص ص، 159- 189.
(50) Carette (E), **Exploration scientifique de l'Algérie pendant les années** (1840, 1841, et 1842), Etude sur la Kabylie, imprimerie nationale, Paris,1848, P. 104.